سندريلا العصر الجديد

أسماء أحمد خليل

أنهت مكالمتها الهاتفية مع خطيبها و زفرت في ضيق، ماباله هذا الأبله يتحملها بالرغم من كل ماتقوله له وكأنه بلا كرامة، تقول له كل ماتشاء من ألفاظ لايتحملها بشر...ومع ذلك تجده يلتمس لها الأعذار!

أ لتلك الدرجة يحبها؟ أم لأنها هي البائسة التى وافقت عليه بعد رفض من الكثير له فمازال يتشبث بها

لاتعرف قصته ولا طريقة تفكيره يربكها. تارة يشعرها وكأنها انتشلت قلبه من بقاع الوحدة لتكون رفيقته،وتارة آخري يشعرها بأنها مجرد فتاة وافقت عليه وهو يتمنى أن يتم الزواج في أقرب وقت ويصبح بدلا من عازبا متزوجا وشتان بينهما!

حياتها بائسة لم تفعل شيء -في وجهة نظرها-جدير بما تطمح له تريد أن تكون عالمية أن يقول إن "أسماء" تلك فعلت مالم يفعله أحد ترفع من رأس أهلها عاليا خاصة أبيها تتمني ان تري نظرة الفخر في عينه مرة آخري.

ربما حسبتها لم تكمل تعليمها لم تفعل أي إنجاز في حياتها بينما على النقيض

هي تعمل كمعلمة في إحدى مدارس قريتها بعدما أنهت جامعتها بتفوق

ربما يكون هذا لفتاة غيرها امر عظيم اما لها فلا..غير كافي

أو لم تنعتها امها مرة بالطمع

أهو الرضا ما تفتقده أم القناعة أم الصبر لربما كل هذا معا.

دلفت والدتها إلى الحجرة، فؤجئت بها تجلس جلستها المعهودة كعادتها عندما تتلاعب الأفكار بشياطين رأسها فتنهشها نهش،مستلقاة في وسط الفراش رأسها على حافته وشعرها يتدلى منها حتى يصل إلى الأرض.. الأمر الذي جعل والدتها تهتف وهي تجرى لتحتضنها:

-بسم الله الرحمن الرحيم،أسماء ما بكِ؟

-لاشيء يا أمي.فقط مجرد هواجس!!

قالتها بنبرة ضعيفة وشبح ابتسامة يلوح على شفتيها احتضنتها والدتها وهتفت في حزن فهي تحفظ هواجس إبنتها:

-حوريتى ارض بما قسمه الله لك تكون اسعد الناس.انتِ في مكانة يحسدك عليها جميع فتيات العائلة وتتمنى كل امرأة أن تكون ابنتها

علت نبرتها وقالت في سخط:

-هذا لان بناتهم من حملة المؤهلات المتوسطة

ضاقت ذرعا بها ابنتها وتعرفها خير من نفسها تحتاج إلى الشدة لا الحنية والطبطبة حتى تستقيم:

- اذا سمعك احد ظنك قاصرة ليست فتاة تقترب من منتصف العشرينات تربي أجيال

مطت شفتيها وقالت في ضيق:

-حتى عملى لم أختاره بنفسي بل اختارته ابنتك الكبرى

كانت على وشك الغضب فقالت:

-اختارت لكِ الانسب والاصلح وانتِ استخرتِ الله فلماذا الحديث الآن؟!

زفرت في ضيق وأكملت:

-اسمع.سيحضر الجميع نريد أن نستمتع بسهرة جميلة في حضور أخواتك.انهض وبدل ملابسك وانس كل ماقلتِ كعادتك!

كانت على وشك الخروج عندما قالت في لهجة خشنة:

-وهاتفِ خطيبك لتطيب له خاطره

ابتسمت و تحدثت بتلقائية:

-لا أظن أن لديه دم مثلنا

-أو ربما قدره الأسود الذي أوقعه فيكِ

ثم أكملت وهي تغلق الباب:

-افعلِ ماطلبته وإلا غضبت منك

تتحمل كل شيء ألا أن تغضب أمها ثانية واحدة وكانت قد طوت كل شيء في ناحية في عقلها وابتسمت في مرح وهاتفت خطيبها تعتذر عن اسلوبها معه فتقبل اعتذارها

وخرجت لتجلس في الصالة بجوار امها وابيها بعدما أبدلت ملابسها

فتاة عادية ليست جميلة للحد الذي يجعلك تطيل النظر إليها ولا قبيحة ذات بشرة خمرية وعيون بنية وأنف منمق وشعر أسود حرير تغطية بحجابها كانت تنتظر مجيء أخواتها الذين سرعان ما تجمعوا بأطفالهم فامتلأت الصالة عن آخرها وعلت بضجيج وحكايات أخيها محمود المسلية وكانت المرة لم تسمع بها من قبل حينما بدأ يسترسل في حديثه بكل تلقائية:

-على سبيل المثال جسر الناحية الغربية يكثر حوله الغموض أخبرني ذات مرة أحد عجائز القرية انه يرقد في بطنه أفعى كبيرة..تخرج ليلا قادرة على ان تسبب في انقلاب عربة نقل

أوما على كلامه الأخ الأصغر والأخت الكبرى بينما علق الأخ الأكبر بثقة تامة:

-أغلب الظن أن هناك سرداب تحته لم يرى أحد منا الأفعى بينما السرداب قصته قديمة تناقلتها الاجيال من قديم الزمن وكيف أنه كان يلجأ له اهل القرية في حالة الغارات وقت الحروب

وهنا علقت الاخت الكبرى وقالت:

- حتى الجامع هناك يقال ان من بناه عمرو بن العاص وكل فترة تجدده هيئة الأوقاف

-علاوة على ان هناك حديث بأن هناك نفق يصلك بأحد المدن الكبرى

لم تعرف من قالها كانت مثارة أول مرة تسمع تلك المعلومات عن قريتها فأكمل آخر:

- وفلان الذي أخرج آثار من بيته وذلك المعبد اليهودى الذي اخبرنا الشيخ

الذي كان مع محمود.القرية أثرية لو كان الأمر بيدي لأخضعتها للإشراف الاثرى فورا لن يكلف الدولة الكثير خذ مثلا الجسر على سبيل المثال لغزة كبير

لم تعلق كانت تسمع كل كلمة تسجلها في عقلها أصابتها حالة من الدهشة والتعجب والفضول

ترى ماذا سيكون الحال لو اكتشفت هي هالة الغموض حول القرية أو ربما اكتشفت الاغمض ويخلد اسمها وتحقق ذاتها لتهدأ فوضى قلبها

سألتها أختها الكبرى في تعجب من سكونها:

-مابكِ يا أسماء صامتة ليس كعادتك.

أجابتها من شرودها:

-لا انا بخير اول مرة اسمع مثل هذه المعلومات فتأثرت فقط

ارتدت ملابسها سريعا وخرجت في عجالة تقتضم ذلك الساندوتش وقالت في عجالة:

-أبى إنى ذاهبة للعمل أخبر أمى..استودعك الله

قالتها وهي تقبل جبينه ووجنتيه فأجابها

بنبرته الحانية:

-انتبهِ لنفسك

كانت تردد اذكارها وهي تمشي مهرولة تحاول أن تلحق الحصة الأولى فقد تأخرت،راجعت جدولها في عقلها الحصة الأولى في الصف الرابع بينما الحصة الثالثة في الصف الخامس والصف السادس الحصة الخامسة

اليوم يوم مكدس لها من حظها أنها قد حضرت دروسها الثلاث مابين الجغرافيا والتاريخ؛ فهي تدرس الدراسات الاجتماعية بجدارة تجعلك تقسم أنها مثلها يصبح عالمة لا معلمة فقط!

أتت الحصة الخامسة أخيرا ودخلت لفصلها الذي اجتمع طلابه في ثوان فالكل يعشق مادتها أنهت درسها بسهولة تامة....وأخذت تسأل في النهاية والكل يجيبها حسب طريقته.....المهم أن يكون الدرس ترسخ في عقلهم أنهت يومها.. وغادرت من البوابة فإذا بها اصطدمت بصديقة لها منذ الثانوية يسبقها قبل اسمها لقب "طبيبة "

وفي عرفهم من أصبح طبيب حقق ذاته وكأنه وصل القمر هي لا تبغض

أحد هي فقط تربت وترسخت في ذهنها فكرة واحدة "كن طبيبا أو لا تكن شيئا" أو لم تسمعها ذات مرة من أحد أصدقاء عملها

- يخيل لى ان مالم يدرس طب لم يتعلم

وكأنها تنقصه ليخبرها هذا..هي دوننا عن الجميع تفهم جملته تمام الفهم

أهي تشعر بالنقص أم أن مجتمعها هو الذي يتعامل بطبقية أما أنها مريضة نفسيا

بعد حوار لطيف دار بينهم تسألها عن آخر أخبارها في اهتمام صديقة فتفاجأت حينما اخبرتها أنها تحضر للماجستير وتجهز عيادتها الخاصة بها

الكل ناجح الا هي فاشلة

عليها أن تنجح أن تثبت ذاتها ولو بمغامرة بسيطة أو لم تتمناها!

لا تعرف لماذا أتى الجسر على خاطرها

الجسر ستلقى نظرة عليه وليحدث ما يحدث غدا إجازتها ستذهب إليه صباحا

عادت إلى بيتها تتناول غذائها وجلست مع والدها يستطلعون الاخبار حينما داهمها بدون سابق انظار.. فتاة في مثلها عمرها تقريبا حققت لقب بطولة

العالم في رياضتها وكم كان الفخر يطل من عين ابيها الا يستحق ابيها هي ذلك الفخر.

حسنا كل شيء حولها يدفعها دفعا.

انتهي الليل سريعا ودخلت غرفتها توضأت لتصلي العشاء وصلت استخارة بعدها ان تذهب او لا ونامت علي فراشها تنتظر مصيرها وهي محتارة كيف سيصبح عليها الصباح أمسكت بدفتر يومياتها وشرعت تنثر مشاعرها المضطربة عليه وكيف انها تريد ان تهدأ ذلك الثائر بين طيات ضلوعها ثم بعثت برسالة لخطيبها تطمئنه عليها وأنها خلدت للنوم

استيقظت في وقت مبكرا كم تمنت بالضبط وقد ازدادت حماسة ان تذهب للجسر ارتدت بنطال واسع من القماش وبلوزة بلون السماء وحجاب صغير بلونها أنار بشرتها.. وخرجت وقد حملت حقيبة بها من الطعام والشراب وبعض النقود وادوات اخرى وخرجت خلسة علي قدميها تسرع في مشيتها ودقات قلبها تزداد يكاد أن يقفز منها حتي وصلت إلي باطن الجسر

كان عبارة عن جسر ترابي متهالك وكأن الزمان يأكل منه وفي ناحية منه تواجهها شجرة عتيقة كانت تتراكم الاتربة وبعض الاحجار الصغيرة وكأنها فجوة سُدت يقال عنها باطن الجسر.

وقفت امامها لحسن حظها انها مخفية عن الانظار بفعل تلك الشجرة التي وراها وكأنها تحتضن الجسر وقفت و ترى امامها المشهد عادي جدا كوم من التراب حتى كادت ان تفقد حماسها حينما استندت على الشجرة وقالت في ضيق:

-وكل تلك الأساطير على هذا فقط اين الاثارة أين المغامرة؟!

وفجأة اهتزت الأرض من تحت قدميها و اهتزت الشجرة وظهر في باطن الجسر فتحة صغيرة تكفي لعبورها بجسدها النحيل فقط وكأنها شقت لها هي لم تفكر مرة أخرى

أسوأ الاحتمالات إنها ستموت لايهم

و عبرت من خلال الفتحة كان مظلما تاما فتحت هاتفها واشعلت كشافه وسارت تتلمس الجدران العتيقة وكآن مر عليها زمان وزمان كانت تريد أن ترى نهايتها وترجع..ظلت تمشي يخيل لها أن النهاية قريبة وكلما تقترب منها تجدها تبتعد وفجأة... وضعت رجليها في الفراغ وهوت في هوة سحيقة ظلت تصرخ وتصرخ حتى غابت بضع من الوقت وهي تسقط كانت متأكدة أنها النهاية ستموت لاشك.

وكمن يهبط في مصعد من الطابق الخمسين ويقف في الطابق الثاني أحست

هي أخذت تلتقط أنفاسها وهي ترى نفسها على بعد سنتيمترات معدودة من الأرض غير مصدقة أنها على قيد الحياة معلقة وكأن الجاذبية تلاشت حاولت أن تتحرك فاختل توازنها وسقطت أرضا لتتسخ ملابسها بالتراب وقفت في بطء..تنفض التراب عنها وقد أحست أن كل عظمة في جسمها قد تحركت من مكانها..اخذت تستطلع المكان وما فيه من سكون سوى صوت أنفاسها وتتلمس جدرانه الصفراء كان كمعبد فرعوني بالضبط كان به ممر تنتشر على جانبيه الشعلات النارية وكأنها تقودك مجبرا ليس مخيرا إلى الطريق.... بسملت وقرأت آية الكرسي لشحن بطارية أمانها و سارت فيه وهي تتسائل في قرارة نفسها:

-كل هذا تحت قريتها وهم لايعلمون

ازدادت حماسة ونشاط ورغبة في كشف المجهول واسدال الستار عن بعض غموض هذا العالم حتى اقتربت من النهاية،على بعد خطوات منها وجدت نور عظيم يضئ المكان يبعث من فوهة في آخر الممر أسرعت حتى وقفت وقد أذهلها ما رأت أمامها حولها

فما هي واقفة الا في كهف في بطن جبل كل ماحولها صخور وبالاسفل بعيد هناك على مرمى البصر هناك بيوت مشيدة وكأنها قرية أخرى

أين هي؟!

انتقلت بالزمن إلى الماضي؟أم أن هذا عالم آخر يعيش تحت عالمها

لاسبيل للرجوع

هي لن تعرف أساسا

ماذا فعلت بنفسها!أخذت تهدأ نفسها وتخبرها ان كل شيء سيمر بهدوء طالما الله معنا

ربما هؤلاء القوم يساعدنها في الرجوع لقد استخارت ربها أي أنه معها عليها أن تنزل من على هذا الجبل

كان هناك حافة صغيرة تكفي بالكاد لقدميها بسملت ثم ألصقت ظهرها بالجبل.. وقدمت خطوة تليها أخرى..وهي مغمضة العينين تدعي كل الأدعية التي تعرفها كي لاتسقط.. حتى انتقلت إلى الجهة الأخرى بنجاح

كانت عبارة عن هضبة نزولها سهل عليها خاصة لرشاقتها وممارستها الرياضة باستمرار هتفت في مرح غير مصدقة أنها فعلت كل هذا وحدها دون مساعدة، رباه لقد بدأت تتنفس أخيرا بهدوء سارت تلتفت حولها لعلها ترى احد يرشدها في تلك الصحراء كيف تدخل لتلك المدينة فهي أكبر من

كونها قرية حتى وجدت ذلك الطريق المتعرج الذي على جابينه بعض الأحجار الصغيرة لم تكن الطريق بعيدة لكي تمل حتى وجدت نفسها على باب المدينة ترددت لأول مرة منذ بداية رحلتها أتدخل أو لا حتى فوجئت بمن يصطدم بها من الخلف،فرغما عنها وقعت إلي الأمام فدخلت المدينة

المملكة!

عرفتها بالطبع من أسوارها العتيقة التي تحيط بها علاوة على أن ليس هناك مدن بالقرب منها خمنت وأصاب تخمينها في مقتل

-أنا آسف تعثرت وكنت امامي.. تبدين غريبة عنا.. اعرفك بنفسي انا يامن وتلك مملكة أزاد

بلعت ريقها وقالت في ترقب:

-مملكة أزاد

أجابها بكل تلقائية:

-نعم. ما اسمك؟!

همست من بين شفتيها:

-اسماء

أي مصيبة أوقعت نفسي فيها! رغم كل شي كنت وسط أهلي الآن أنا بعيدة عنهم وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبها وأحست بالندم

تذكرة لأحد الأطباء النفسيين كانت كفيلة لانهاء مشكلتى أما الآن فسيضعوني في مصحة عقلية عندما أخبرهم بما رأيت

لحظة

هل سنراهم ثانية أبي أمي أخواتي بالطبع أثق في قدرة الله ولو كنت في قلب الجحيم نفسه سيخرجني لم أطلبه مرة الا و كان معي اتركني الآن؟

-اسماء أسماء أسماء

جفلت عندما سمعته يردد اسمها بتلك الطريقة فأجابت:

-نعم نعم نعم

-كنت أردده لاحفظه.هل لكي احد هنا؟

لاتعرف كيف نطقتها وقالت:

-لا انا وحيدة

بدأ يسيرا وسط المملكة وأخذت تنقل بصرها بينهم كان الرجال يرتدون مثل يامن سروال طويل من القماش وسترة من الكتان.. أما الفتيات فقد تعجبن لمنظرها ولم يعرفن أنها فتاة الا من حجابها فقد كن يرتدين عباءات طويلة عليها عليها خمار طويل

-اعذر لي فضولِ ولكن لماذا ترتدين مثلنا نحن الرجال

اتخبره حقيقتها لا أن يصدقها سينعتها بالجنون عليها أن تثق به أولا ثم تخبره لعله يعرف أن يساعدها

-في مملكتى يرتدون مثل هذه الأشياء. هل يوجد مكان أذهب إليه للإقامة بفندق مثلا

نطق بغرابة الكلمة وقال:فن.. فند..فندق

-انس الكلمة أين يقيم الغرباء الذين يحلون على أرضكم؟

قالتها بنفاذ صبر

-في بيوتنا

قالها بكل تلقائية وكأنه يلفظ اسمه فشرح موضحا:

-في بيوتنا هم ضيوفنا أنه قانوننا

علت نبرتها وقالت بغيظ:

-حسنا. أين أنا سأقيم دلني؟

-في بيتي..أنا من وجدتك إذا انتي ضيفتي أنا

هدأت نبرتها دائما هكذا تتخدع في الناس حتى تحت الأرض خدعت لاحظ صمتها ففهم ماترمي إليه:

-لاتقلق هناك أمي

-حسنا.كم ستأخذ مقابل مبيتي عندك؟

-ستبتين في بيتي بأمر من حاكم المملكة.. الديوان يتكفل بكل شي علاوة على انهم يأتون ليطمئنوا عليك من آن إلى آخر وهل أنا جدير بمكافأة الديوان أم لا

ألم تعلمي بعد هذا هو قانوننا

كانت كمن ألقي عليها دلو من الثلج أي قانون هذا بل أي مملكة تلك ورغما عن خوفها تمنت أن تعرف المزيد

فضولها يسوقه سوقا وهي تنبث باعتراض

-حسنا خذني إلى بيتك يا.. يامن

سارت بجواره كانت الارض مرصوفة بحجارة صغيرة سوداء اللون اما البيوت فكانت بنيت بحجارة كبيرة بنية اللون ولها قبب مخروطية ذات لون اسود

لم يكن البيت بعيد كان قريبا بعد عدة شوارع لا مناطق هكذا أخبرها يامن الذي راح يسترسل في حديثه الأمر الذي أثار دهشتها انه ودود ويحدثها وكأنما تربيا معا!

-المملكة مقسمة إلى أربع نواحي الشمالية،الشرقية،الغربية،الجنوبية كل ناحية مسئولة من حاكم يشرف عليها ويقسمها إلى مناطق يختار من صفوة رجاله الأخيار ويعين كل منهم على منطقة ويراقبهم من أفسد يعاقب ويطرد و الأصلح يبقى وهذا كله تحت سلطة الديوان الممثل في أربعة أشخاص

-حكام النواحي الأربعة

اجابتها بتلقائية كان تخمين واضح.

-يالك من ماهرة!

كانت تستمع لكلامه بكل تركيز و انتباه كان حديثه مثيرا للاهتمام سألته في تقرير:

- وحكام النواحي الأربعة يختارهم الملك بالطبع!؟

قال في تعجب:

-لا والله انهم منا كل عام كل ناحية تقدم الأصلح لان يكون حاكمها ويمثلها

سألته بانتباه:

-بالطبع يتولاها كل ذى شأن أصحاب المقامات الرفيعة

اجابها في مقتل:

-لا انها تدور علينا

- بالطبع هم مجانين

لم تصرح بها أمامه وقالت:

-حدثني بوضوح أكثر

أشار إلى البيت الذي امامه وقال في اسف:

-أكمل لكِ غدا وخاصة اني سأخذكِ معي لكي تشاهدي يوم المحاكمة

لن تتعجب هي واثقة انها سترى العجب بعد كلامه أدخلها بيته كان مكون من طابق واحد به أربع حجرات وصالة واسعة عند مدخل البيت أتتها امه من حجرة علي اليمين وقالت وهي تمسح يديها في قطعة من القماش:

-من معك يا يامن؟!

-هي ضيفتنا يا امي سأذهب لأخبر الديوان قبل الذهاب لعملِ وسأعود مبكرا ان شاء الله

قال جملته ثم غادر وتركها وحيدة..الإنسان الوحيد الذي ألفته هنا تركها التفت إلى امه وجدتها تطالعها بأعين فضولية من رأسها لاصبع قدميها

-تعالي معي

وجرتها من يديها انها عجوز تقترب من الستين ولكنها في صحة فتاة في الثلاثين

هكذا همست من بين شفتيها فابتسمت العجوز ووجل قلبها هي..دخلت قبلها حجرة مظلمة واشارت لها بان تبقي خارجا حتى تنير الحجرة هي

دقيقة دقيقتين انتظرت ووجدت الحجرة تنار تلقائيا والعجوز في منتصفها وهي تقول لها بحبور:

-هذه حجرتك يابنيتى.تعالي لاتخافِ

من؟هي تخاف بعد كل مامرت به لقد أوتيت من القوة والشجاعة ما لم تؤتها من قبل يكفي تقبلها الأمر وكأنها تعيش بين ثنايا رواية تقرأها وصادف أن تكون هي البطلة

خطت داخل الحجرة كان هناك فراش علي شكل دائرة في وسطها وخزانة ملابس علي يمينه وفرش بسيط من الكتان في ارضية الحجرة

-هذه حجرة الضيوف عندنا ومن الآن أصبحت حجرتك حتى ترحلين عنا.هل أعجبتك؟!

استوقفتها كلمة "ترحلين" إلي أين؟لن ارحل من هنا إلا في حالة الرجوع إلى أهلي فقط انتبهت للعجوز وهي تسألها فأجابت:

-نعم انها جميلة شكرا لكم على استضافتي

فتحت العجوز الخزانة واخرجت عباءة بلون حجابها وقالت في حنو:

-ستكون عليكِ جميلة بدلا من ذلك السروال

ابتسمت لأول مرة وقالت بخضوع:

-حسنا سأرتديها

خرجت العجوز وقالت:

-سأنتظرك بالخارج.

ثم أشارت لها على حبل يتدلى من سقف الحجرة المسئول عن الانارة

اوصدت الباب بالمزلاج وشرعت ترتدي العباءة فوق ملابسها وخرجت أمامها ووجدتها بانتظارها

-يالك من جميلة.ما اسمك!؟

اجابت على استحياء:

-أسماء

-حتى ولو لم يكن قانوننا علينا لكنت استضفت دون انتظار أي شيء من الديوان

قالتها بصدق بالغ ولاول مرة رفعت نظرها اليها ودققت النظر في ملامحها كانت قصيرة ممتلئة بعض الشيء مع انها ترتدي عباءة واسعة لا تحدد معالم

جسدها وتحكم على رأسها خمار يتدلى حتى كفوفها اما عن وجهها فكان كوجه اي جدة خيوط الشيخوخة تمكنت منه فرسمت اثارها بدقة عليه عيناها تفيض حبا وحنانا انستها ما هي فيه وهتفت في مرح:

-ألن ترين البيت!؟

-بالطبع ساريك اياه

واخذتها تنقلها بين في الثلاث حجرات المتبقية كانت واحدة لها وأخرى لابنها استوقفها فيها لوحة مرسومة له

فتمعنت النظر فيها شاب يبدو في أوائل الثلاثين ذو بشرة نحاسية وشعر اسود قصير وعيون سوداء وجسم رياضي أغلب الظن أنه اكتسبه من عمله

والثالثة للطعام يطبخ ويؤكل فيها... وفي احد الاركان هناك دورة مياه لم تلاحظها عند دخولها.. توقفن في حجرة الطعام وشرعن يتحدثن فهتفت عندما رأت حبوب الفاصوليا واخبرتها انها تحبها... والحديث دار من الطعام وما تحب ما تكره- وقد أثار دهشتها انها عندها كل الاطعمة التي تحبها - إلى الحديث عن يامن وعرفت منه انه يعمل كمزارع بعدما أنهي دراسته في تعلم الزراعة.

-تعلم الزراعة!؟

قالتها في دهشة أثارت ريبة العجوز ولكنها اجابتها:

-الكل هنا يدرس مايحبه ليعمل فيه واختار ابني الزراعة

-لماذا لم يختار الطب أو الهندسة؟

اجابتها مدافعة عن ابنها:

-اختار ما أحب يابنيتي.ما بالك تتحدثين بطريقة غريبة،وهل يزيد او ينقص الاطباء عن ابني كلنا واحد سواسية

ودت ان تصفق لها وتصفر أيضا علي جملتها وقالت موضحا وجهة نظرها:

-سامحيني يا اماه فمن حيث اتيت يعاملوننا بطبقية..

او ربما انا مريضة نفسية علي حد قولي امي

لم تصرح بجملتها الاخيرة امام العجوز وظل يتحدثن كثيرا حتى اتي الليل وجاء يامن وتناولوا الطعام على تلك المنضدة الخشبية في الحجرة كل منهم على كرسيه الخاص وتحدثوا قليل ليس كثيرا وهما يامن لينام فاستوقفته

-اريد ان اعرف المزيد عن المملكة

اجابها في اسي:

-لقد كان يوما متعب.غدًا اجازة رسمية

واكملت العجوز:

-سنذهب معا فغدا يوم المحاكمة

-ذكره لي يامن ولكنه لم يوضح لي اكثر عن هذا اليوم

اجابتها العجوز بتأثر:

-الصالح يبقى، الفاسد يعاقب حتى الملك نفسه يحاكم

يوم تشهده جميع أزاد يوم يرتعد كل مسئول في المملكة خوفا من الإعدام.

اشرقت الشمس فاسدلت ستائر الليل واتي الصباح مشرقا احست بجلبة في الخارج فاستيقظت وارتدت ملابسها وخرجت لتجد العجوز ويامن في انتظارها للخروج.

اسرعت فاغتسلت وبدلت ملابسها باخري اعطتها لها العجوز وخرجت بصحبتهم فتعجبت مما رأت فكانت الشوارع ممتلئة الكل يسير في اتجاه واحد في اتجاه الساحة الشباب والعجائز حتى الأطفال سألت يامن:

-اشعر أن المملكة أصبحت فارغة لماذا الكل ذاهب وكأنه أمر؟!

اجابها بنبرته المعهودة

-بالطبع أمر كل من له مظلمة عند أي مسئول عليه ان يخبرها للهيئة المكونة من كبار المؤسسين

لفظت الكلمة في غرابة:

- كبار المؤسسين!

اكمل جملتها:

-كبار مؤسسي ازاد..هيا لنحصل على مكان في الصف الاول

كانت الساحة كبيرة جدا وبها من المقاعد الخشبية ما لايعد ولا يحصي يكفي لعدد سكان المملكة وفي الأمام هناك منصة خشبية كبيرة عليها اربع مقاعد خشبية مثلها مثل التي على الأرض بفارق المنضدة الخشبية المستطيلة أمامهم فعرفت انها لكبار المؤسسين او بمعني آخر هيئة القضاة..وعلى الجانب هناك مقعد أمامه منضدة صغيرة وعلي الناحية الأخري هناك منصة الاعدام انقبض قلبها فور ان راتها.. وعرفت لماذا يهرب الجميع من أن يصبحوا حكام حتي جعل الأمر بالتناوب بينهم فالإعدام مصيرهم.

مملكة ازاد مملكة العجائب.

بعد وقت ليس بقصير امتلئت المقاعد خلفها وحضر المؤسسين كانوا عجائز لحيتهم تصل إلي صدرهم يرتدون عباءات سوداء كل منهم يضع قلسنوة رأسه لم يكشفها إلا حينما جلس.

وبدأت المحاكمة وجلس الملك على الكرسي البعيد يقرأ من الأوراق أمامه على هيئة المؤسسين ما فعله كل حاكم.

وكانت النتيجة إعدام حاكم الناحية الشمالية ومعه مسؤول إحدى مناطقه وارتعدت هي ونجا الحكام الآخرون..تبقت محاكمة الملك الذي سرد إنجازاته في تواضع شديد.. فصفقت له هيئة المؤسسين وصفق الشعب وبقي الملك ملكا لانجازاته

يالها من مملكة تحاكم مسئوليها كل عام أمام شعبها وتمنت لاول مرة لو عاشت هنا مع اهلها ولكن كيف؟!؟

لقد اطمئنت لهم هل تخبرهم حقيقتها الآن؟!

انتبهت من شرودها على صوت يامن يطلب منها التحرك ولكنه فؤجي بأحد حراس هيئة المؤسسين أمامه يطلب منه باحترام:

-لو سمحت ياسيد يامن احضر الضيفة وتعاليا معي

انقبض قلبها وأمسكت في ذراع يامن لاول مرة فطمئنها وقال:

-لاتقلق.ما من شيء يدعو للقلق.اذهبِ انتي يامي

وسارت بجواره خلف الحارس يدلفان من شارع إلى آخر حتى وقفا امام بيت كبيت يامن ولكنه تظهر عليه الفخامة نوعا ما فدلفا خلف الحارس واشار لهم بأن يبقيا حتى يأتي سيده

-من سيده؟.يامن

لاول مرة احس انها مسئولة منه وقال:

-لابد انه احد المؤسسين راك في الساحة ويريد أن يتحدث معكِ

وقد كان دخل عليهم رجل عليه من الهيبة والوقار ما يكفي لان يكون احد مجلس الشيوخ الامريكي هكذا همست فنظر لها مباشرة وقال وعيناه عليها:

-اجلسا

جلس يامن وجلست بجواره فقال الشيخ الكبير بدهاء أيقنت هي له وعرفت انه يعرف حقيقتها:

-من انتي ومن أين أتيت؟

فأجابت في سكون:

-انا اسماء من مصر

وصدق توقعها يعرف حقيقتها ولكن ما لم تتوقع ان يامن يعرف هو الآخر فبادر وقال في اندفاع:

-لماذا لم تخبريني انك من مصر تالله اني احبها حبا جما كما ان اجدادي من هناك

من أيقن بحقيقة أن الشمس تشرق من الشرق لو سألتها أحد حينذاك لاخبرته لا أدري

سألت في فضول:

-اتعرفها؟

اجابها في فخر:

-ومن لا يعرف مصر

نظرت إلي المؤسس التى عرفته بأسم أرسلان وقالت في جدية:

-سيدي أنا لا أعي شيئا كيف تعرفان بمصر وكيف أن أجداده منها يوشك ان ينفجر عقلي

حك أرسلان ذقنه ومسد لحيته وقال:

-الموضوع بسيط ياصغيرة لي عندك سؤال وبعدها سأجيبك

-تفضل

-لماذا لم تخبرِ يامن بحقيقتك؟

دافعت عن نفسها وقالت:

- خفت أن ينعتني بالجنون كنت اريد ان ابسط الامر له ولم اعرف من أين أبدأ

-إذا استعدي فقد صدقتي وسئلِ ماشيءتِ

كانت عيناها تشعان فضول وهي تسأل:

-إن أنتم من سكان الأرض كيف دخلتم إلى هنا ومتى ولماذا؟!.

نقلت بصرها إلى يامن الذي راح يستمع بانصات شديد بدا وكأنه يعرف القصة كاملة ولكنها من مذاق احد المؤسسين لها نكهة خاصة

-كنا ضعاف عراة لا حول لنا ولاقوة ظلمتنا الحرب قتلت أهلنا شردت أطفالنا فلم نجد سوى الكهوف في الجبال لنلجأ إليها ووصلنا هنا نحاول أن نطبق العدل الذي حرمنا منه

-لقد رأيت هذا بالفعل كم انتم حريصين على الا يظلم أحد

ابتسم لها وقال:

-من ذاق مرارة الظلم يابنتي أولي بأن يعدل

سألت في توجس:

-كيف سأخرج منها؟!

وترقبت تنظر إليهما في انتظار أن ينطق أحد منهم فقال في رزانة:

-عندما تحققين غايتك من المجيء هنا

البحث عن الذات، الرضا، القناعة كلها خرافات امام البعد عن الأهل والوطن

-غاية أي غاية!!

-لست بعالم الغيب يا بنتي انتي اخبرينا

ستصرح بكل مساوئها امام رجلان غريبان عنها في مكان هي غريبة ما أسوء قدرها، لم تصارح احد سوى أمها كيف ستتحدث امامهما

حثها أرسلان وقال:

-كلنا عيوب يابنتي لولا ستر الله تكلمي لنساعدك

اخذت نفسا عميقا وشرعت تحكي:

-كنت متفوقة ولكن القدر جعل مني معلمة..زرع في من الصغر ان لاشيء يساوي كلمة طبيب مع اني اكره الطب ولكن دوما احس بالنقصان من اني لم اصل إليه واني فاشلة.. مع ان تلاميذي ينجحون بتفوق على مستوى المدرسة

هنا علق يامن وقال:

-لو لم أعرفك لقلت ان بك مس من الجنون كيف تكرهين الطب وتريده مع انك معلمة ناجحة؟!

-افهمني يا يامن اريده ليس حبا فيه بل حبا في ان اكون من الصفوة التى تدرس الطب وتكمل دراستها في الخارج وتعالج المرضى

وأكمل أرسلان:

-تحبين الهالة الساطعة حوله ليس هو؟!.

أومأت برأسها نعم فقال الشيخ:

-اذا كيف تنجحين فيه؟!

وقفت تفكر لوهلة فأكمل الشيخ:

-معلمة ناجحة تربي أجيال خير ألف مرة من طبيبة فاشلة

وجدها تنصت في اهتمام فأكمل:

-الطموح شيء عظيم ولكن وظيفية صح قبل أن ينقلب عليكِ ليكون نار تكوي علي الجانبين واعلمِان الله ما جعلك معلمة الا لانك اصلح في كونك معلمة من

طبيبة...اجتهدي ابصري نجاحك في عيون طلابك اكملي دراساتك ابحثي عن هوية تشغلين نفسك فيه أحبي نفسك هكذا كما هي دون تعديل وثقي بان الله يختار دوما لنا الافضل

كانت صامتة وكأن علي رأسها الطير تفكر في كل كلمة قالها وكيف أنها وقعت في عقلها وقلبها استوقفها سألا:

-لماذا لم تفكرين في دراسة الاثار خاصة انك تحبين الغموض والمغامرة وتناسب طبيعة عملك

نظرت له في دهشة كيف يعرف هذا عنها لم تخبره كيف عرف؟!

كانت على وشك التفوه بالحديث ولكنها صمتت في انتظار المزيد أقبل عقلها كل هذا ويرفض أن يصدق أنه يقرأ الأفكار

دعك من هذا ان حديثه يعجبها ان المجالات امامها كثيرة سواء ان كان عملها أو هواياتها المفضلة الرسم لماذا لم تفكر في هذا من قبل كانت تنظر من ناحية واحدة..فجأة أحست بالحماس يدب في أوصالها وتمنت أن ترجع انتشلها من بؤرة تفكيرها وقال:

-هل انتي راضية عن نفسك؟مقتنعة بذاتك؟! يامعلمة

أومأت برأسها بالإيجاب فقال لها:

-إذا عودي من حيث اتيتِ.

كانت ترتجف من الحمى وهي في فراشها امها بجوارها تعمل الكمادات لعل حرارة جسدها تهبط والدموع تسيل من عينيها علي منظر ابنتها...التي تئن وتهذي بكلام غير مفهوم.. وفجاءة انتفضت وصرخت الأم على صغارها

فدخلوا مسرعين وجدوها تنتفض في سرعة شديدة وكأنها تصارع الموت ثم فتحت عينيها فلفظ الجميع الشهادة انها بخير فتسائلت:

-أين أنا؟

أجابتها أمها وهي تحتضنها:

- في بيتك في حجرتك في فراشك.مر عليك يومان وانت تعانين من الحمي

جحظت عيناها غير مصدقة: الم اذهب إلي الجسر؟!

علق احدهم:انت هنا معا

وعلق آخر:ربما كنت تحلمين.

***